

119955 - حكم من يقول: إن فقر المسلمين بسبب كثرة النسل

السؤال

ما حكم الشرع في رأيكم فيمن يقول : إن فقر المسلمين وضعفهم وتخلفهم في هذا العصر نتيجة للانفجار السكاني وكثرة النسل بنسبة تفوق التقدم الاقتصاد ؟ وما نصيحتكم لمن يعتقد ذلك ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

" رأينا أن رأيه خطأ ، وذلك لأن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وليست العلة كثرة السكان ، لأنه ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ولكن الله عز وجل يعطي لحكمة ، ويمنع لحكمة . ونصيحتي لمن يعتقد هذه العقيدة أن يتقي الله عز وجل ، وأن يدع هذا الاعتقاد الباطل ، وأن يعلم أن العالم مهما كثروا فإن الله تعالى لو شاء لبسط لهم الرزق ، ولكن الله قال في كتابه : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) الشورى/27 . فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله . "فتاوى علماء البلد الحرام" ص 1084 . ولا شك أن الدعوة إلى تحديد النسل أو تقليله ، مصادمة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم القائل: (تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ) رواه أبو داود (2050) وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (1784) .

وقد ضمن الله تعالى لجميع المخلوقات رزقها ، فقال : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) هود/6 . فمحاربة الزيادة السكانية - سواء كان ذلك بفرض وسائل منع الحمل أو بالإجهاض أو بغير ذلك - باعتقاد أن الموارد لا تكفي الزيادة السكانية ، وأن مصلحة البشر تقتضي الإقلال من زيادة نموهم ، إن ذلك إعلان لإنكار ربوبية الله للخلق ، وسعة رزقه ، وهو شبيهه باعتقاد المشركين ، الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر ، قال الله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) الأنعام/151 ، وقال : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) الإسراء/31 .

وكثرة الأمة نعمة من نعم الله تعالى التي يستحق أن يشكر عليها ، ويعبد وحده ، ولهذا ذكر الله تعالى أن نبيه شعبياً عليه السلام ذكّر قومه ببعض نعم الله عليهم ، فقال : (وَإِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمُ) الأعراف/86 .

وكثرة الأمة من أسباب عزتها وانتصارها على أعدائها ، ولهذا قال الله تعالى عن بني إسرائيل: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) الإسراء/7.

وفي دراسة مستقبلية عن مصر قال الدكتور محمد سيد غلاب : "إن الزيادة السكانية لم تكن أبداً عبئاً ، ولا يصح أن تعتبر كذلك في القرن القادم ؛ فهي التي مكنت مصر من التقدم في كل العصور" .

وفي دراسة أخرى : يشير الدكتور مصطفى الفقي إلى أن من أهم العوامل المؤثرة في دور مصر عربياً : "اعتبار مصر مستودع الثروة البشرية" .

ويقول الأستاذ خورشيد أحمد الخبير الاقتصادي : "القوة الغالبة لا تكون في المستقبل إلا للبلاد التي تتمتع بزيادة السكان ، وتتحدى في الوقت ذاته بالعلوم الفنية ، فليس ثمة شيء يستطيع أن يحتفظ للأمم الغرب بسيادتها وقيادتها العالمية سوى أن تعمل على نشر حركة تحديد النسل ومنع الحمل في بلاد آسيا وإفريقيا ؛ لأجل هذا : فإن البلاد الغربية تعمل اليوم وسعها لزيادة سكانها ، ولكنها في الوقت نفسه تستعين بأحسن ما عندها من أساليب الدعاية لتعميم حركة تحديد النسل في البلاد الآسيوية والإفريقية" .

ويقول أيضاً : "وما أصدّق الأستاذ (أورجانسكي) [مفكر أمريكي] في قوله : (وفي المستقبل ، إنما تكون القوة أكثر عند المعسكر الذي يكون عنده الأفراد أكثر)" .

ويقول أيضاً : "مما لا يخفى على طالب لعلم التاريخ : أن تعدد السكان له أهمية سياسية جذرية ، ولذا : فإن كل حضارة أو قوة عالمية قد أولت جل اهتمامها إلى زيادة أفرادها في عصرها الإنشائي والتعميري ، ولذا : فإن المؤرخ المعروف الأستاذ (ويل ديورانت) يعد كثرة السكان من أهم أسباب التقدم المدني ، وأيضاً يعدها الأستاذ (آرنولد توينبي) من تلك التحديات الأساسية التي رداً عليها يخرج إلى عالم الوجود تقدم أي حضارة إنسانية" .

وحتى لا يفهم الكلام خطأ ، فليست زيادة السكان وحدها هي الكفيلة بالتقدم والحضارة ، والانتصار على الأعداء ، بل هي سبب رئيس لذلك ، ولكنه ليس السبب الوحيد ، بل لا بد أن يواكب ذلك : تعليم قوي ، وتربية صحيحة ، وشيوع العدل والأمان في المجتمع ، ومحاربة الفساد ، وقبل كل ذلك : الإيمان والتقوى ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الأعراف/96 .

وقد تعالت صيحات أعداء الإسلام محذرةً من كثرة أعداد المسلمين ، وأن ذلك من أعظم الخطر عليهم .

ففي كتاب "تحولات في جغرافية الشرق الأوسط" لمؤلفه البروفيسور أرنون سوفير 1984 م ، وهو من الكتب الدراسية في الدولة اليهودية ، ويعتبر مرجعاً للجهات المختصة هناك ، يرى الكاتب أن الزيادة السكانية العالية في مصر تقلق إسرائيل ، لإمكانية إقامة جيش قوي .

وقد نشرت صحيفة (الديلي تلغراف) في 19 /1988/1 مقالاً بعنوان (القنبلة السكانية المؤقتة في حوض المتوسط) تناول فيه كاتبه هذه القضية التي تقض مضاجع الغرب وهي الزيادة السكانية الكبيرة في الدول التي تقع شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط ، وتراجعها في الدول التي تقع شماله . ونقل المقال عن تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة : أن ثلثي سكان البحر الأبيض المتوسط في الخمسينات كانوا أوروبيين منتشرين في الدول الممتدة من مضيق جبل طارق إلى مضيق البوسفور ، غير أن هذه الصورة ستعكس بحلول عام (2025) وسيصبح البحر المتوسط بحراً إسلامياً ، إن لم يكن عربياً .

فهذا المقال يشير بما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أن الذي يشجع قضايا تحديد النسل والحد من الزيادة السكانية بين المسلمين ، وتشجيع الدعوات العاملة على ذلك تحت شعارات كثيرة مثل : (تنظيم الأسرة) ، (تنظيم المجتمع) ، (تخطيط الأسرة) إلى غير ذلك من الشعارات الكثيرة .. نقول : إن الذي يشجع على ذلك إنما يخدمون أعداء الإسلام والمسلمين ، ويعملون لمصلحتهم ، علموا ذلك أو جهلوه .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

"وأما القول بتحديد النسل فهذا لا شك أنه من دسائس أعداء المسلمين يريدون من المسلمين ألا يكثروا ؛ لأنهم إذا كثروا أربعهم ، واستغنوا بأنفسهم عنهم : حرثوا الأرض ، وشغلوا التجارة ، وحصل بذلك ارتفاع للاقتصاد ، وغير ذلك من المصالح ؛ فإذا بقوا مستحسرين قليلين صاروا أذلة ، وصاروا محتاجين لغيرهم في كل شيء" انتهى .

"تفسير سورة البقرة" (2/88) .

وأخيراً ... إننا في حاجة إلى زيادة النسل مع أسلمة خطط التنمية ، وأسلمة الأنظمة ، وأسلمة القوانين ، مع الاستفادة من العلوم الحديثة .

ولمزيد الفائدة ، ينظر كتاب : "حركة تحديد النسل" أبو الأعلى المودودي ص (178-186) ، "مجلة البيان" عدد (11) ، 107 ، (191) .

والله أعلم .